

الموسيقى العسكرية أولها منذ عهد المتصرفية عازفون يحرسون السجون ومستودعات الذخيرة

الموسيقى العسكرية هي الاطار الفني للقوى المسلحة الذي يشكل ضرورة وطنية لكل دولة مستكملة السيادة. وهي الانطباع الاول عن تقدم الامة ورفي الدولة يسجله الزوار الكبار من ملوك ورؤساء وسفراء وقادة عسكريين ومدنيين.

تجدها دائما على اتم الاستعداد في الاستعراضات العسكرية والاعياد الوطنية، وفي حفلات التكريم والترفيه، وفي مراسم الاستقبال والتشجيع.

في لبنان ثلاث فرق للموسيقى العسكرية: فرقة موسيقى الجيش، وفرقة موسيقى الدرك او قوى الامن الداخلي اليوم التي هي اقدم عهدا من الاولى وموضوع حديثنا في شقيها القديم والحديث، وفرقة موسيقى الامن العام التي تأسست مؤخرا.

لهذه الموسيقى ذكريات طيبة في نفوس اللبنانيين القدامى، لانها رافقتهم في مختلف تطورات حياتهم السياسية، وشنت اسماعهم بالحانها الشجية في احتفالاتهم الرسمية والوطنية والدينية، وفي المناسبات الخاصة، وفي المآتم والافراح، زمن المتصرفية، والحديث عنها له نكهة العسل في فم اللبناني القديم الذي يحتفظ في حناياه بمكان حريز للذكريات اللبنانية الطيبة.

لم يكن اللبنانيين قبل نظامهم الذي أعطوه بعد 1860 موسيقى منظمة، اما كانوا في ايام امرائهم ومقدميهم ومشايخهم يذهبون الى الحرب منشدين اناشيد حماسية لا يزال لها اثر بين،

يرافقهم في انشادها زمارون ينفخون بالآت من قصب. لم يعرف اللبنانيون الموسيقى المنظمة الراقية الا في عهد متصرفيهم. كان اول من فكر في انشائها رستم باشا المتصرف الثالث على لبنان، فاستقدم سنة 1872 موسيقيا ايطاليا يدعي كارو منحه رتبة "قول اغاسي"، فنظمها من واحد واربعين جنديا بينهم اليوزباشي حبيب ابوشمعون والملازم الاول محمود ابوزكي والملازم الثاني امين يونس والباشاويش فارس عبود، مع ستة جاويشية وثمانية اونباشية واثنين وعشرين جنديا. كان يمرن دائما خمسة او ستة جنود على العزف ليكونوا احتياطا، حتى اذا مرض او اذن او استقال احد العناصر قام واحد منهم مقامه.

كان الجندي الموسيقي يتناول في الشهر ستة ريالات مجدية، ويتناول الاونباشي ثمانية، والجاويش عشرة، والباشاويش ثلاثة عشر. اما مرتبات الضباط فلم نجد تحديدا لقيمتها، ولعلها كانت تساوي مرتبات امثالهم من ضباط الدرك. لكن زوجة المتصرف رستم باشا تبرعت بعد مدة من تأليف الموسيقى على رجالها بريال، ثم تبرعت في السنة التالية بزيادة ريال آخر، تعويضا لهم عن استخدامها اياهم في احوال خاصة.

كانت البستهم على طراز البسة رجال الدرك في ذلك العهد، اي طراز "الزواف"، لكنها تختلف عن تلك بالوانها. كانت تتألف من طربوش احمر، وكبران احمر او اخضر وتحتة صدره من لونه،

وسراويل زواف، وطماقات جوخ من لون الثوب. وكانت اشارات الرتب توضع على الذراع اليسرى، الا اشارات الضباط فعلى الكتف.

قليلا ما كان جنود الموسيقى وضباطها يستخدمون في الخدمات الخاصة، انما كان يُعهد اليهم عند الحاجة بحراسة السجون ومستودعات الاسلحة والذخيرة. ولم تكن فرقة الموسيقى مرتبطة سوى بالمتصرف نفسه، فتتلقى الاوامر منه رأسا.

بعد ذهاب منظمها "القول اغاسي" كارو من لبنان، حل محله ايطالي آخر يدعى فنجنسيو افوليو، وهو موسيقي مشهور مُنح رتبة "قول اغاسي"، فوضع لها الحانا عربية جميلة لا يزال اكثرها يعزف حتى يومنا. لبث في رئاستها الى سنة 1912، عندما احيل على التقاعد بعدما تجنّس بالجنسية العثمانية، وتولى الرئاسة بعده الملازم الاول امين يونس من حدث بيروت.

صار لهذه الفرقة شهرة عالمية لما كانت عليه من الاتقان وحسن التنظيم ودقة العزف وكمال التدريب، حتى انها لما عزفت لغليوم الثاني امبراطور المانيا يوم زار هذه البلاد سنة 1898 شهد امام متصرف لبنان ووالي بيروت والرجالات العظام الذين استقبلوه "بانها من افضل الجوقات الموسيقية في السلطنة العثمانية". وهي كانت تأتي بالفعل، في السلطنة العثمانية، في المرتبة الثانية بعد فرقة موسيقى سالونيك.

كانت هذه الموسيقى، في ايام الشتاء



مرمح بيروت في بئر حسن كانت تذهب لتعزف على مسامح الحضور. كما كانت تشترك في الطواف بالقربان المقدس في دير القمر يوم عيد الجسد، فتطوف مع الجماهير عازفة الحانا دينية ساحرة. وكذلك في عيد مار الياس للروم الملكيين في دير القمر الذي كان يدعى اليه المتصرف، فتعزف في دار الكنيسة طوال حفلة القداس، وتقدم لرجالها المرطبات والنقل.

وهي قد استقبلت بالحانها الاسطول الفرنسي الذي جاء الى بيروت قبل الحرب الكونية الاولى. في ايام هذه الحرب كان جمال باشا يستدعيها الى حفلاته في صوفر، فتلبث هناك بضعة ايام. كما كان قناصل الدول يدعونها الى دورهم ويغالون في تكريم رجالها، لأنهم كانوا، بالحانهم الشجية، يملأون تلك الدور غبطة وحياء. وقد ألغيت هذه الفرقة سنة 1919 لاسباب لا مجال لذكرها هنا. (عن "الجندي اللبناني" سنة 1942).

اما موسيقى الدرك، فسنة 1934 اعترمت الكولونيل بوافان مفتش الدرك العام،

حينما يكون مركز المتصرفية في بعبد، تذهب كل يوم احد الى جنينة الباشا في الحازمية، فتعزف هناك الحانها الجميلة للجماهير التي كانت تتقاطر من انحاء الجبل وبيروت لسماعها والتلذذ بانغامها. في ايام الصيف، حينما يكون المركز في بيت الدين، كانت تأتي بعد ظهر كل احد الى دير القمر فتعزف إما في سوق الميدان واما في "منشبة الدير"، وتنتقل في بعض الآحاد، حينما يكون المتصرف مدعوا الى عاليه او صوفر، فتعزف فيهما او في "منشبة عاليه".

كانت تصدح كل مساء في بيت الدين في اثناء تناول المتصرف طعام العشاء، وفي صباح كل يوم حين رفع العلم قبل ابتداء العمل في دوائر المتصرفية، وفي المساء عند انصراف المأمورين؛ فيستعرض المتصرف الجنود، والموسيقى امامهم، من شرفة قنطرة مدخل قصر الامير. ويُنزل العلم على الحانها. في عيد الجلوس الهمايوني كل سنة كانت لا تنقطع عن العزف طوال النهار وشطرا من الليل، وحينما تقام حفلات السباق شتاء في

بالاتفاق مع قائد الدرك الكولونيل الشيخ خليل الخازن، رفع مستوى الدرك وتخصيصه بثلاثة مشاريع تحقق ضمن "الآلاي" وتعود الى فائدة مجموعته ضباطا وافرادا على غرار المنظمات الدركية في البلدان الراقية، وهذه المشاريع هي: تأسيس جمعية تعاون متبادل بين الجنود، وانشاء مجلة تعنى بامور السلك واخباره وحوادثه، واعادة انشاء موسيقى الدرك وتنظيمها وهي التي كانت معروفة قديما باسم "موسيقى الضابطية" المنحلة عام 1919.

تم انجاز المشروع الاول، وهو تأسيس جمعية للتعاون المتبادل عُرفت باسم "جمعية صندوق الجندي"، وذلك بموجب المرسوم ذي الرقم 311 الصادر في 26 نيسان عام 1934. اما المشروعان الآخران فُضرب صفح عن تحقيقهما لعدم توافر المال اللازم، وظهور شبخ الحرب العالمية الثانية.

في صيف 1940 تخلت بعثة الضباط الفرنسيين، وعلى رأسها الكولونيل روزنفالون، عن قيادة الدرك نهائيا بسبب الحرب، وتولى الكولونيل سليمان نوفل، من جيش الشرق، القيادة العامة، فتمكن، من جملة التحسينات التي وفرها لهذه المنظمة، من انشاء مجلة "الجندي اللبناني" التي صدر العدد الاول منها في ايار 1942، وأخذ يتحين الفرص لبعث الموسيقى. ولما لم يكن آنذاك للحكومة اللبنانية موسيقى رسمية لتلبية طلباتها عند الحاجة فقد كانت تستعين بموسيقى جيش الشرق.

في مجرى تلك السنة قامت احدي الشخصيات الاجنبية بزيارة لبنان، فطلبت الحكومة موسيقى جيش الشرق لتصدح بالاناشيد اللازمة في استقبالها، فاعتذرت القيادة الفرنسية عن تلبية

عزم لا يلين



٧٢ سنة



اللبناني بينما تعزف الثانية النشيد الوطني الاجنبي تبعاً لهوية الزائر. لما نال لبنان استقلاله سنة 1943 وصار لحكومته موسيقاها الرسمية كانت رئاسة الجمهورية تستقبل الهيئات الرسمية والسفراء والزوار الكبار على انغامها، فكانت تشف الآذان بمعزوفاتها الساحرة، وعلى صدى هذه المعزوفات استقبلت السفير الاميركي لأول مرة بعزفها النشيد الوطني الاميركي بدقة واتقان. ما اثار دهشته فقال مرافقيه: "انني أعجب لعزف هذه الفرقة النشيد الوطني الاميركي الصعب الايقاع على حداثة عهدنا في هذا الحقل الانساني الجميل". كذلك شهد لها السفيران الروسي والبريطاني.

لحن الاخوان فليفل مجموعة من الاناشيد والمارشات الوطنية من نظم بعض الشعراء مثل سابا زريق وبشارة الخوري (الاخطل الصغير) وعبد الحليم الحجار ومحمد يوسف حمود وسلام فاخوري ومحمد جواد وجورج الغريب والاب مارون غصن وخليل تقي الدين ونسيم نصر وابراهيم طوقان. وصار تبني هذه الاناشيد رسمياً، وجمعت في كتيب مع نوطاتها وهو بعنوان "مختارات الاناشيد الوطنية"، طبع سنة 1959 باهتمام وزارة الدفاع الوطني، وهذه الاناشيد هي: - "ان لبنان لنا" (أول نشيد تم تلحينه) - نشيد "لبنان حرم الارز" - النشيد الشعبي - نشيد الجيش - نشيد المدرسة الحربية - نشيد "نحن الجنود" - نشيد المصفحات - نشيد المدفعية - نشيد "تحية الارز" - نشيد "المجد" - نشيد "نحن الشباب" - نشيد "يا تراب الوطن" - نشيد "موطني" وسواها من الاناشيد والاغاني اللبنانية الطيبة.



دخلت فرقة "الافراج الوطنية" لأول مرة ثكنة ابراهيم الخوري، مقر القيادة العامة، وهي تعزف اناشيدها الشجيرة، فاستقبلها القائد وضباطه بالترحاب، وتأثر الضباط القدماء المخضرمون اذ تذكروا سماعهم انغام موسيقاهم القديمة في زمن المتصرفية وافسحوا للفرقة مكاناً في مقرها الجديد. كان هناك فريق من الشبان الهواة انضموا اليها بعد اكتسابها الصفة العسكرية، فأخذ الاخوان فليفل يدربان أفرادها على عزف المارشات العسكرية. وألغى اسمها القديم فأصبح "فرقة موسيقى الدرك"، وتألفت نواتها اذذاك من 45 ضابطاً ورتبياً ودركياً بقيادة الملازم الاول احمد فليفل. وقبل اندماجها في سلك الدرك كانت الحكومة تنتدبها لاستقبال الشخصيات الرسمية وللمناسبات الوطنية والدينية، فكانت تعزف جنباً الى جنب مع موسيقى الجيش، فتعزف هي النشيد الوطني

طلبها لاسباب، ما حمل الحكومة على الاستعانة بفرقة "الافراج الوطنية"، وهي فرقة موسيقية مدنية كان يديرها الاخوان فليفل من بيروت. وقد راق انغامها آنذاك للحضور، فاغتنم الكولونيل نوفل الفرصة وتقدم باقتراح الى الحكومة يرمي الى تأسيس موسيقى جديدة للدرك كما كانت الحال في زمن المتصرفية، وتعيين فرقة "الافراج الوطنية" في صلب الدرك لما تمتاز من روح الفن والاتقان والتجهز التام بالمعدات والآلات العصرية. فوافقت الحكومة على اقتراحه وصار الى تعيين هذه الفرقة في الدرك في 16 حزيران سنة 1942 في عهد قائده الكولونيل سليمان نوفل، ورئيس الدولة الفرد نقاش ورئيس الوزراء سامي الصلح، واستدعي الاستاذان احمد فليفل ومحمد مدرس الموسيقى في مدارس المعارف ومحمد مدرس الرياضة فيها وعُهد اليهما في تأليف الفرقة وتنظيمها وقيادتها طبقاً للنظم والقوانين العسكرية.